باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجرب لنعهد هذا الباب فنتحناه ترحيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

اغرب الغرائب

سيدي الاستاذ صاحب المقتطف الاغر

كان البحث في الارواح والكلام فيها هو من سائر الكون — ليس من الامور المألوفة وكان الجدل في هذا الجو كالرجم بالغيب ومن قبيل المهاترة والمكابرة والمجاجة هراء وعبثاً كان هذا الى عهد قريب اما الآن فقد صارت الحال غير الحال فنزعت العقول الكبيرة الى معالجة هذه الموضوعات ونشط البحث في ذلك اقطاب المادية وعمد الطبيعة امثال اولفر لودج ووليم جيمس واديسون . وانت لا تفتح مجلة او رواية الا وقع نظرك على شيء يحدث واثر بين من آثار هذا البحث فالعالم الجديد يسابق القديم في تعليل الحوادث وتفهم المذهب الروحاني . على ان المذهب المادي لا يزال واقفاً بالمرصاد يحارب كل ظاهرة من ظواهر الروح وينازع كل سر من اسرار هذا الكون

ولقد قرأت نتفاً كثيرة وحفظت لمعاً ايفاً من آثار الروح ولا ازال اعالج تفهم ما يستعصى فهمهُ ويستغلق ويتعسر استيعابهُ فلا تستمرئهُ الافهام سهلاً ، مستعيناً بوجداني عاملاً على رقيبهِ واصلاحهِ

ولقد اتيح لي ان اقرأ في مقتطفكم عن الرجل الالماني المدعو لدوغ كهن وما قيل عنهُ من انهُ يقرأ ما يكتب في ورقة ولو لم يرَ الكتابة وما جاء بهِ في باريس امام جماعة من فحول العلم وفطاحل العرفان اعضاء اكاديمية الطب فوقع بخاطري ان ادلي برأيي في تعليل تلك الظاهرة عسى ان اوفق في ذلك او اكون من المنصفين فاقول : اذا اطبقت جفن عينيك وضغطت باصبعك عليها ظهرت لك صورٌ متباينة الاشكال — منها ما هو مستدير ومنها ما

هو متشعب. واذا كنت قد خلوت بنفسك في مخدع مظلم وحولت نظرك بجاه الى الطرف لاحت لك حلقات نورية متطايرة . اذن فما تعليل هذا ؟ انهم يعللون هذا بان شبكية العين المركبة من انبساط العصب البصري — ليس يتساوى الاحساس على سطحها فينتج ان الالياف الدقيقة التي تكوّن العصب ليست تهتز على حالة واحدة ووتيرة واحدة — فكلما كانت الواحدة منها اشد تأثراً كان اهتزازها بتموجات النور غيرما تنفعل به الاخرى والعكس بالعكس . وانما يرجع ذلك الى خصائص ومميزات اجهزة الحواس واستعداد الالياف العصبية بحالة اهتزازية خاصة

والعين ما هي ؟ ان هي الا حجرة سوداء ترتسم فيها التأثيرات النورية — وتنفعل الشبكة بما يقع عليها النظر من المرئيات وتنقل الى الدماغ الاهتزازات النورية حيث تتحول هذه الى احساسات معقولة من النفس الروحية . اما تمييز المخلوق للالوان وتفريقها بعضها عن بعض فقد شرحها بعض علماء الفزيولوجية بافتراضهم وجود اختلافات في سرعة تموجات الاثير المنتشر في الكون — قالوا : ان هذه التموجات انما تختلف اختلافاً نسبياً في السرعة فتختلف في ما تتركهُ من أثر في شبكة العين ويكون ان تأثيرها في شبكية يختلف عن غيره في شبكية أخرى . ويكون بعد ذلك ان تعلم نتيجة عالية هي ان التأثيرات الطارئة على شبكية العين تسبب العوارض النظرية . وان الظلمة مسببة عن عدم وصول التأثير اليها فاذا ذهبنا الى ابعد من ذلك في البحث وجدنا انهُ مما يؤيد وجود تغير يطرأ على شبكية العين عند وصول النور اليها صدور هذه التأثيرات فيها بمعزل عن عامل النور — اعني ان كل علة تنشىء تغيراً في غشاء العين العصبي تسبب احساسات نورية في باطنه

ولا يندّ عن ذهننا ان المانع العصبي من اخص الشروط لحسن وظيفة اجهزة الحواس فعلى قدر كثرته او قلته تزداد قوة الحاسة او تضعف . وانما تتوقف قوة الجهاز الحسي وحدتهُ على عدد الالياف العصبية المتمددة فيها وتعوّد كل منها حركة اهتزازية معينة مناسبة لهُ وللعلل الخارجة الطارئة عليه . ان حاسة السمع تبلغ درجة عجيبة من الحدة في بعض الامراض وسبب ذلك تجمع كمية وافرة من المانع العصبي في هذه الحاسة على اثر اعتلال المريض وهو ما يعزز ما قلناهُ ويزكيه

ولنعد الى ما كنا فيه فنقول ما هي حدود الاهتزاز المؤثرة في القوة الباصرة وهي على حالتها الطبيعية فنقول : اذا اخذنا موشوراً زجاجياً وانفذنا فيه شعاع الشمس وجعلنا هذا الشعاع المنحرف على حاجز وجدناهُ مركباً من سبعة الوان تسمى الطيف الشمسي ابتداؤها

الاحمر وانتهاؤها البنفسجي ولا تجد العين احساسات نورية يستوعب بها ما وراء هذين اللونين . على حين انا اذا اضفنا املاح الفضة من الناحية المجاورة للبنفسجي فاننا نراها تختل وهو ما يؤيد وجود ما وراء البنفسجي اشعة خاصة لا تقوى الباصرة على رؤيتها وانما يظهر اثرها في فعلها الكيماوي فقط . هذا من جهة ومن جهة أخرى قد ثبت وجود ما بعد اللون الاحمر تموجات حرارية غير منظورة . اذن فالطيف الشمسي الكامل يمتد الى ما بعد البنفسجي وما قبل الاحمر وان ما فينا من استعداد بصري لا يرى الا الجزء الاوسط من الطيف . وعلى هذا نقول انهُ يوجد اهتزازات نورية لا تؤثر في شبكية العين لسرعتها او لبطئها اي لقصرها او لطولها وقد قرر العلماء ان الباصرة لا تتأثر من التموجات الاثيرية التي تزيد اهتزازاتها على ٧٩٠ تريليون في الثانية اي (٧٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) او تنقص عن الاربعماية تريليون وما يقال في البصر يقال في السمع وباقي الحواس على اختلاف في الارقام — وهذا يدلنا على ان الجسم البشري آلة حيوانية مجهزة باجهزة ناقلة لا تتم وظائفها الا في حدود ضيقة جدًّا بالنسبة الى عدم تناهي الطبيعة . ولقد اجريت امتحانات اثبتت امكان تنقيص الحركة الاهتزازية من شعاع النور . ذلك بأنهم اخذوا قطعة من الزجاج الخاص الحاوي من سيليكات الاورانيوم ووضعوها في الناحية الواقعة ما وراء البنفسجي من الطيف الشمسي فظهرت عليها بسرعة تلك الاشعة غير المنظورة التي ظهر فعلها بحل املاح الفضة وانما خاصية الزجاج المذكور ان تقلل اهتزازات تلك الاشعة الواقعة ما بعد البنفسجية ويكون من ذلك ان يظهر لونها السري وتراها العين

وحاصل هذا كلهِ ان قوى الانسان تختلف باختلاف اجسام الناس واقدارهم وان من الناس من يحمل قنطاراً بين يديهِ ومنهم من لا يقوى على حمل عشر هذا القدر . وكذلك تتفاوت حساسيات المرء فمنهم من يرى او يسمع على ابعاد بعيدة ومنهم من لا يستطيع ذلك آية ذلك ان التنويم المغنطيسي يظهرنا على ان في الانسان قوى باطنة كثيرة مستورة فالنائم النوم المغنطيسي يأتي بامور واشياء ويحمل اثقالاً لا قبل لهُ عليها في صحوهِ وهو ما يؤيد المذهب الروحاني ويذهب بزاعم المادية التي تنكر كل ما هو غير مشاهد قائم على الحس . فعسى ان يكون في ذلك الكفاية الآن ولعلنا نعود الى ذلك الموضوع مرة اخرى

حسن حسين

الطب العربي في الجاهلية

مواد جديدة للاحاطة بدرسهِ

حضرة الفاضل صاحب المقتطف الاغر

اتشرف بان ارسل الى مجلتكم ترجمة المبلغة العلمية التي تليت في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب المنعقد في جنيف سويسرا من ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٥ الى ٢٥ منهُ وقد اعددتُ هذه المبلغة على اثر كتاب تلقيتهُ من الدكتور شارل غرين كومستول رئيس المؤتمر هذا نصهُ

سيدي حضرة الوصيف الكلي الاعتبار

انني اكتب اليكم شخصياً لارجوكم ان تحضروا المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب وتلقوا فيهِ مبلغة بموضوع يتعلق بتاريخ الطب العربي لان هذا مما يسبب لي سروراً عظيماً وعلى رجاء ان يصادف اقتراحي قبولاً لديكم تقبلوا الخ

فاجبت بما مؤداهُ

سيدي حضرة رئيس المؤتمر الكلي الاعتبار

تلقيت دعوتكم للمشاركة في المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ الطب المنعقد في جنيف تحت رآستكم وشكرت لكم حسن ظنكم بي. اما حضوري المؤتمر بنفسي فذاك امر تمنعني اشغالي الطبية في باريس عن القيام بهِ . واما ان ارسل مبلغة بموضوع يتعلق بتاريخ الطب عند العرب فهذا اقوم بهِ مع الشكر الجزيل لحضراتكم ولتقبلوا . . .

ترجمة المبلغة

لقد اتيح لي ان طرقت باب هذا الموضوع المتسع المناحي في مبلّغة قريبة العهد في باريس ذُيلت باسم الدكتور موريس ڤيلاريت نائب استاذ في كلية العاصمة الفرنسوية الطبية وباسمي وظهرت في مجلات علمية مختلفة (انظر الجمعية الاسيوية وجمعية تاريخ الطب الفرنسوية)

اجل ان درس الطب العربي قبل الاسلام موضوع لا تجاب انحاؤهُ وزواياهُ في مبلغة او مبلغتين فان معارف العرب الطبية قبل القرن السابع للميلاد انما هي بالحقيقة بعض معلومات فن الشفاء التي كانت شائعة بين معاصريهم تلك الايام

وللعثور على هذه الفرائد يجب على الباحث ان ينقب بين مخطوطات ومطبوعات عديدة حتى اذا ثابر ولم يتطرق الى عزيمته ضعف كشف بين ركام من الاصداف

يحيط به حجراً فريداً افل ما يقال فيه انهُ ان لم يكن بالحجر الفلسفي فانهُ ثمن محصول لا يجاريه في نفاسته مجار وعليه نقول :

لقد سبق لنا ان ذكرنا في مبلغ خلت بعض اطباء وجراحين في العصر الجاهلي . والآن نضيف اليهم النطاسي ابن حزيم من قبيلة تيم الرباب وقد اشار الى وجود والاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بدليل ما قالهُ اوس بن حجر فيه

فهل لكم فيها اليَّ فانني بصير بما اعيا النطاسي حزيما

ولقد عرف العرب القوباء او (الحزازة) او ما يقرب منها من الامراض الجلدية وعالجها بعضهم بالريقة وهي رضاب الصباح وقبل تناول الطعام . على ان هذا العلاج لم يرق شاعراً ذكيَّ الفؤاد فقال وهو يتميز غيظاً :

واهاً لهذه النكبة الفليقة هل تذهبنَّ القوباء الريقة

(والبيت احد شواهد الارجوزة للبازجي) ولعلَّ هذه العادة لا تزال متبعة في بعض قرى مصر وسوريا والعراق ودساكرها

وذكر العرب البرص في كثير من اشعارهم الجاهلية ووصفوهُ واشاروا بعزلة المصاب . واغرب ما يؤثر عنهم معرفتهم الحمى المتقطعة وعلى الاخص حمى الربع معرفة لا تبقي مجالاً للريب فان الشاعر الجاهلي الكبير والعدَّاء الشهير المعروف بالشنفرى وهو ممن عاش في القرن الخامس للميلاد كان اول من ذكر حمى الربع في كلام لهُ ولا نذكر ذلك لقائل قبلهُ وقد ورد ذلك في قصيدته المشهورة بلامية العرب والتي مطلعها

اميلوا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميلُ

جاء منها في وصف حاله

وإلفُ هموم ما تزال تعودهُ عياداً كحمى الربع او هي اثقلُ

***

وعلى ذكر حمى الربع وهي ضرب من ضروب الحمى المتقطعة او الملاريا فاني استميح القارىء الكريم ان انتقل به من الجاهلية الى صدر الاسلام هنيهة بقصد التوسع في هذا البحث وسرد ما يوافق سردهُ في هذا المقام . فان ابن ميادة وهو من شعراء العصر الاموي رمى بكلمتين في موضوع مسببات الحمى المتقطعة لمعت فيهما العبقرية واجتازها الاطام . واليك ما جاء بهذا الصدد نقلاً عن كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ج ٢ ص ١٠٤ و١٠٥ طبع القاهرة

كان ابن ميادة بحضرة الوليد بن يزيد الاموي وذكر الهجمة في ابيات لهُ انشدها بين يدي الخليفة يستجدي بها فقال الوليد : كم الهجمة قلت مائة ناقة قال فقد صدرت بها كلها عشراء قال ابن ميادة فذكرت ولداناً لي بنجد اذا استطعموا اللهَ عزَّ وجلَّ اطعمهم وانا واذا استسقوهُ سقاهم الله وانا واذا استكسوهُ كساهم الله وانا فقال يا ابن ميادة وكم ولدانك فقلت سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة فذكرت ذلك منهم فاخذ بقلبي فقال يا ابن ميادة قد اطعمهم الله وامير المؤمنين وسقاهم الله وامير المؤمنين وكساهم الله وامير المؤمنين فاما النساء فاربع حلل مختلفات الالوان واما الرجال فثلاث حلل مختلفات الالوان واما السقي فلا ارى مائة لقحة الا سترويهم فان لم تروهم زدتهم عينين من الحجاز. قلت يا امير المؤمنين لسنا باصحاب عيون يأكلنها البعوض ونأخذنا بها الحميات. قال قد اخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما اعطيتك العام مائة لقحة وفحلها وجارية بكر وفرس عتيق ، انتهى بالحرف

الا ترى بان ابن ميادة قد ذهب شوطاً في هذا المضمار وانهُ ممن سبق فاشار الى تواطوء البعوض والمستنقعات على ايجاد الحميات حتى اقبل لاقران فاظهر ذلك للعيان

وكأني بابي الطيب المتنبي لا يصف غير نوبة من نوبات الملاريا عند ما قال وهو في مصر

وزائرتي كأن بها حياءً فليس تزور الاَّ في الظلام

الى اخر هذه الابيات التي تتضمن وصفاً دقيقاً للشعور بحصول النوبة وارتفاع درجة الحرارة والعرق الغزير الذي يصحبها و يعقبها

وقد ذكر العرب في الجاهلية الشقيقة وهو وجع الرأس على انفارسهم وشاعرهم عنترة ارتأى على عادتهِ لهذا الداء علاجاً لا يبقي ولا يذر

قال من قصيدتهِ المعروفة بيوم المصانع والتي مطلعها

اذا كشف الزمان لك القناعا ومدَّ اليك صرف الدهر باعا

فقد جاء فيها قولهُ

وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

هذا ما اردت تدوينهُ الآن وانني لعامل على طرق باب هذا الموضوع في سانحة أخرى

الدكتور يوسف فرج حريز

لوريا كلية الطب بباريس